انقلاب عسكرى

واقعة بير هول ٨ نوفمبر ١٩٢٣

The Beer Hall Putsch, November 8,1923

كانت بورجر - براو كيللر، **Burgebrau kwller** واحدة من أكبر الصالات فى ميونيخ ، يرتادها كل مساء آلاف من الألمان يتسامرون ويتغنون بالأغانى وكانت المناظرات السياسية الكبيرة تعقد أيضاً فى تلك الصالة .

وفى مساء ليلة الثامن من نوفمبر ١٩٢٣ حضر لصالة بورجر-براو كيللر ثلاثة آلاف شخص تجمعوا لسماع خطاب سيلقيه السيد «**جوستاف فون كار**» **Gustav von kahr** مفوض مجلس الدولة عن ولاية باڤاريا ، والكولونيل (عقيد) **هانز فون زايسر Hans Von Seisser** رئيس البوليس السرى الباڤارى، وبين الجمع فى ذلك الوقت كان كبار المسئولين فى المجتمع الباڤارى ، كما حضر الحفل عدد من كبار العسكريين ورجال الحكومة ورجال المال والأعمال.

لم يعلم الحضور أن هذه الليلة ستكون ليلة مأساوية مرعبة بكل ما يعنيه الوصف من معنى . فلم يكن أحد ليعلم أن أدولف هتلر زعيم النازيين يخطط للاستيلاء على السلطة فى باڤاريا وقصم الحكومة بضربة واحدة .. يسميها الألمان ضربة انقلاب مسلحة سريعة **Putsch** . خطط النازيون للهجوم تخطيطاً جيداً فقد أحاطت بالمكان فى الظلام قوات من رجال العاصفة يبلغ قوامها ستمائة رجل . ونصب مدفع رشاش صوبت فوهته

نحو الباب الرئيسى للمكان . وقام أحد الأفراد بغلق الباب بقوة من الداخل للسيطرة على الجمع المتواجد بالداخل ، كان السيد «**فون كار**» منهمكا فى خطابه لمدة نصف ساعة فتملل الحضور وأحسوا أنها أمسية مضجرة. فجأة انفتح الباب الأمامى ودخل رجل قصير غريب المنظر برفقة مجموعة من السفاحين . كان هذا الرجل هو أدولف هتلر محاطاً بحرسه الخاص وكبار أعوانه فكان بينهم «**هيرمان جورينج**» **Herman Goering** و«**ألفريد روزنبيرج**» **Alfred Rosenberg** : و«**رودلف هيس**» **Rudolf Hess** و«**أولريش جراف**» **Ulrich Graf** جزار الحرب المعروف بمنكبيه العريضين والذى كان يلازم هتلر كالظل فى كل مكان .

امتطى هتلر مقعداً فى تشنج وعصبية وأشهر مسدسه وأخذ يطلق منه النار باتجاه السقف فخيم على المكان سكون تام . ثم طرح السيد «فون كار» جانباً ، وكان «فون كار» متخشباً من هول الصدمة ، ثم صاح هتلر بأعلى صوته : «لقد بدأت الثورة الوطنية .. بالصالة عدد من رجالنا وبالخارج قوة من ستمائة رجل ، لقد ولت الحكومة البافارية وعزلت وستتولى زمام الأمور حكومة جديدة فى الحال ، كما سيتم تشكيل جيش وطنى جديد . لقد تمت السيطرة على ثكنات «**الرايخسڤر**» **Reichswer** (الجيش الوطنى) وإدارات البوليس ، هؤلاء كلهم أمسك بهم الصليب المعقوف» .

كانت بالطبع كلمات هتلر الأخيرة مجرد كذب فى كذب وادعاء محض. فلم يكن الجيش أو البوليس فى صفه وقتها . كانت جملة هتلر الأخيرة تلك هراء لكنه نفع .

لقد تشكل الحزب النازى منذ ثلاث سنوات وأصبح له ثلاثة نواب فى «**الريخشتاج**» **Reichstag** (مجلس الشعب) لكن النازيين كانوا منقادين بالفعل إلى الثورة مع هتلر النازى .

أمر هتلر بصوت عال السيد «فون كار» و«فون لوسوف» و«ڤون زايسر» بالتحرك إلى غرفة جانبية صغيرة ، فانصاعوا للأمر وهم فى حالة ذهول وصدمة ، وأخبرهم هتلر بنبأ تشكيل حكومة جديدة بمساعدة بطل الحرب الجنرال **إريش لودينـدورف Erich Ludendorff** مستغلاً اسم الجنرال زوراً، ثم أمر هتلر الثلاثة بالتقدم وإلا أطلق عليهم النار دون تردد ، وانصاع الثلاثة للأمر وكانوا فى حالة عصبية يرثى لها ومع ذلك فقد أظهروا بعض التذمر على ما كان هتلر يقوله فهاج هتلر غضباً ، فى تلك الأثناء كان «جورينج» يأمر الناس فى الصالة بالتزام مقاعدهم وطمأن الحضور بأن كل شئ سيكون على ما يرام وأن الأمر سيستقر حالاً. وفى الخارج التفت حول المكان قوة العاصفة برجالها الأشداء المدججين بالمدافع سريعة الطلقات والبنادق والطبنجات والخناجر . اندفع هتلر عائداً داخل الصالة وصاح فى الحضور : «غداً ستجدون حكومة وطنية فى ألمانيا ، أو ستجدوننا موتى » .. وصاح معلنا أن القادة الباڤاريين الثلاثة هؤلاء قد وافقوا على الانضمام للثورة – فهلل من بالصالة دون أن يعلموا كذب ما يقوله .

فى هذه اللحظة الحاسمة وصل الجنرال «**لودينـدورف**» فقد كان هتلر حريصاً على أن يبعث إليه ليأتى حيث تصور أنه سيكون فى صفه . لكن حصان الحرب المخضرم هذا لم تكن فى جعبته سوى الكراهية لجمهورية **ڤايمر** التى قامت عام ١٩١٩ . وبخ الجنرال «لودينـدورف» هتلر لأنه بدأ الثورة دون أن يخبره مسبقاً بذلك . وقال له : «ما هذا العمل الأحمق ؟!

تستهل عملية انقلاب مسلح فى صالة ! لقد فات الأوان على أى حال للتراجع» ، فوافق «لودينـدورف» على مقابلة القادة الباڤاريين الذين كانوا فى أسر هتلر بالغرفة الخلفية ، ويبدو أن الجنرال المخضرم قد أثر عليهم سريعاً ، فقد عاد الجميع إلى المنصة : «السيد «فون كار» والسيد «فون لوسوف» والسيد «فون زايسر» وألقوا كلمة موجزة وهكذا فعل «الجنرال لودينـدورف» وأقسموا يمين الولاء للنظام الجديد .

بعد ذلك أخبر هتلر الجمع وهو ممتلئ بالفرحة والنشوة بأنه قد قام أخيراً بتنفيذ العهد الذى أخذه على نفسه منذ خمس سنوات عندما رقد قعيداً فى المستشفى العسكرى لإصابته بالعمى من الغازات الحربية – أى العهد على العمل لرفعة ألمانيا .

وذكر شهود عيان كانوا متواجدين بالمكان أن هتلر كان يصيح بعبارات مجنونة فى إثارة لاحد لها ، وأخذ الجمع الذى كان يستهجن من قبل هذا الرجل الغريب (هتلر) يهللون لما يقوله ويقفزون إثارة فى أرجاء الصالة، قفز بعضهم على المناضد ، كان قدر العالم [1] أن تتشكل نواته من هذه الصالة ، وفى وسط الجلبة والهياج الشديدين فى تلك الليلة التى جرى فيها صراع مرير على السلطة تمكن السيد «فون كار» والسيد «فون لوسوف» والسيد «فون زايسر» ، من التسلسل خفية خارج الصالة واحداً

---

(١) بفضل هذا القدر قام هتلر وقامت ألمانيا الهتلرية التى عملت على تحطيم قوى الاستعمار الإنجليزى والفرنسى والهولندى وغيرها ، وبفضل هذا القدر ضعفت يد الاستغلال والاستعمار التى كانت تمسك بها هذه القوة بمقدرات ومصير وكرامة الدول الضعيفة حيث حطم هتلر أيادى الاستعمار وبفضل هذا القدر تحررت معظم الشعوب الإسلامية والعربية .

تلو الآخر . وعندما تسربت الأنباء إلى برلين بأن هنالك عصياناً مسلحاً يجرى الآن فى ميونيخ أعلن «**هانز فون سيكت**» **Hans von Seeckt** القائد العام للرايخسفر (الجيش الوطنى) بأنه شخصياً سيقوم بسحق تمرد ميونيخ إن لم تستطع ميونيخ القيام بذلك وحدها .

أحس هتلر فى صباح اليوم التالى أنه فشل بالرغم من كل ما حدث فتحطمت معنوياته وأراد التراجع عن كل شئ ، فاقترح على الجنرال «لودينـدورف» نقل قوات العاصفة البالغ قوامها ثلاثة آلاف رجل المتواجدة فى ميونيخ إلى إحدى المناطق الريفية خشية حدوث أى مشاكل مستقبلية ، لكن الجنرال المحنك العجوز لم يسمع ذلك وقال لهتلر : «ماذا تريد ؟ الانسحاب؟ لا . لا ، أنا لا أنسحب أبداً ، سأقود قوات العاصفة وسأجتاح بها المدينة» ، فقال له هتلر : «لكنهم سيطلقون النار علينا» أجاب الچنرال: «وليكن ، سنتقدم» .

وفى الساعة الحادية عشرة صباحاً من هذا الصباح الرهيب الموافق ٩ نوفمبر ، تقدمت قوات العاصفة تحمل أعلاماً للصليب المعقوف وواصلت تقدمها صوب « **مارينبلاتز**» **Marienplatz** فى قلب ميونيخ ، وقذفوا بعيداً بفرق صغيرة من البوليس حاولت اعتراض طريقهم ، كان على رأس الطابور المتقدم الجنرال لودينـدورف وهتلر ، وجورينج ، ورأس الحربة يوليوس شترايخر مهندس الدعاية المعادية للسامية . كان هتلر يحمل طبنجته ، وأثناء المسيرة القوية رددت قوات العاصفة أناشيد النازى بأعلى صوتها .

وصل الطابور إلى **أوديون بلاتز** **Odeonplatz** بالقـرب من «**فـيلد هيرنهاله**» **Feldhersnhalle** مقر تشريف أبطال وشهداء الحرب فى التاريخ

الألمانى .حاولت بعض قوات البوليس المسلحة بالمسدسات فقط اعتراض الفرقة المسلحة . لكن الفريقين وقفا برهة ينظران لبعضهما البعض – مائة رجل فقط من رجال البوليس المسلحين بالمسدسات أمام ثلاثة آلاف رجل مدججين بالسلاح .. ومن أى نوع .. من النازيين الثوريين .

صاح هتلر : «ألقوا بسلاحكم .. وابتعدوا» – أطلق رجال الشرطة النار بغتة على مقدمة الطابور فصرع على الفور ستة عشر نازياً وثلاثة من رجال البوليس وأصيب جورينج فى فخذه ونقل إلى منزل قريب حيث قدم له الإسعافات الأولية يهودى يعمل صرافاً ، أما هتلر حامل الرسائل الحربية المهمة فى الحرب العالمية الأولى فقد استخدم خبرته الحربية السابقة وانبطح فوراً على الأرض ثم نهض واحتمى بإحدى السيارات خلف الفرقة ، ولكن ماذا عن الجنرال لودينذورف أسد الحروب المعروف؟ ... وماذا كان حاله عندما فتحت النيران ؟كان أسداً مازال وجهه ينظر للأمام .. وتقدم بين صفوف قوات الشرطة بعد أن ذهلت قوات البوليس من تطاير أعدادها قتلى .. بعد ذلك ، صاح أحد الأفراد : «لا إطلاق للنار، سيادة الجنرال (اللواء) لودينذورف قادم» ! كانت لكلمة «سيادة» وقع السحر فى ألمانيا ، فقد أدار البوليس باحترام مسدساته ، سار الجنرال المحارب المعروف لودينذورف بين صفوف البوليس فى الميدان المفتوح ، لقد نالت ضربة هتلر المسلحة صبغها بالدم فى شوارع ميونيخ بالرغم من أنها قد فشلت فى النهاية ، لكنها نالت عزم الحركة بهذه المحاولة ..

استقل هتلر السيارة متجهاً إلى الريف حيث يقيم أحد أتباعه واختبأ عدة أيام متناسياً على الفور وعده بالانتحار إذا ما فشلت ضربته العسكرية .

داخل السجن فى لاندسبيرج

In Jail At Landsberg

ألقى القبض على هتلر بعد ثلاثة أيام من محاولة الانقلاب العسكرى الذى حدث فى صالة «**بيرهول**» وأودع السجن بتهمة الخيانة ، وشنت حملات على مقار الحزب النازى وأغلقت وصودرت وثائقه وأمواله وأوقفت صحيفة الشعب "**voikischer Beobachter**" الناطقة بلسان الحزب ، وزج أيضاً فى السجن بكبار قادة النازيين

وداخل السجن بدأ هتلر إضراباً عن الطعام استمر لمدة ١٢ يوماً رفض فيها أن يأكل أى شئ ، لكن رفاقه جعلوه يعدل عن ذلك وشدوا من أزره بأنه رجل عظيم يجب ألا يضيع هباء مؤكدين له أن الحزب سيولد من جديد على يديه ، امتثل هتلر للنصيحة وعادت إليه شهيته الطبيعية .

وفى ٢٦ فبراير ١٩٢٤ بدأت المحاكمة فى بناية قديمة من القرميد الأحمر تستخدم كمدرسة لتدريب الضباط فى إحدى ضواحى مدينة ميونيخ. وفى قفص الاتهام وقف الجنرال «لودينودورف» و «فريك» «ورويم» و«هيس» و«هتلر» وآخرون . دافع هتلر عن نفسه دون محام بخطبة محيرة . فقد اعترف بأنه الوحيد الذى خطط للضربة العسكرية فى صالة «بيرهول» ، واعترف بأنه كان ينوى الإطاحة بالجمهورية ، وقال إن ما فعله عمل مشروع مثلما فعله الحاكمون الحاليون من قبل .. فهو لا يختلف عن «فون كار» أو «فون لوسوف» أو «فون زايسر» .

حضر المحاكمة مائة صحفى من جميع قارات العالم ، لذلك استجمع هتلر قواه وثقته بالنفس طالما أن كلماته ستدور فى جميع أنحاء العالم ، وفى داخل ألمانيا بدأ الشعب ينظر إليه كبطل قومى فذ وكمناضل لا يستهدف إلا صالح ألمانيا .

قال هتلر للقضاة : «هذا هو اتجاهى .. إننى أفضل أن أعدم شنقاً فى ألمانيا البلشفية على أن أموت تحت السيوف الفرنسية » .

وعندما سألته المحكمة بأى حق يريد دون أى مؤهلات دراسية أن يحكم ألمانيا ؟، ولماذا لا يُولى فى ذلك اعتباراً للجنرالات والساسة وعلية القوم والعلماء وغيرهم ، أجاب هتلر : «بأن المرء إذا رأى فى نفسه القدرة على العمل الصالح فلابد أن يقوم بذلك .. هذا شئ طبيعى ، فالطائر لابد أن يغرد لأنه خلق طائراً ومنحه الله هذه الطبيعة . فالرجل الذى ولد ليكون حاكما بقدرات كامنة فيه تؤهله لإدارة شئون العباد والبلاد .. لابد أن يتقدم فى قدره الإلهى المكتوب» .

أخذ هتلر يصيح ويتفلسف داخل المحكمة وهو يعى أن العالم ينقل كلامه ، ويعى بوجود جماهير غفيرة خارج المحكمة وفى الشوارع المؤدية لها ترفع رايات الصليب المعقوف رمز النازية . صاح هتلر فى هيئة المحكمة: «الجيش الذى أقمناه يضطرد نمواً يوما بعد يوم ، وفى يوم ما ستصبح تلك السرايا المُستهجنة كتائب والكتائب ألوية والألوية فرقاً عسكرية ضخمة ، وسيتم إنقاذ ألوان علم ألمانيا من الوسخ والفساد» .

وجه هتلر كلامه لهيئة المحكمة وكأنما يوجه كلامه للجماهير التى اعتاد أن يخطب فيها وهى تستمع له . واستطرد يقول لهم: «إننى أعلم

مسبقا الحكم الذى ستصدرونه فى حقى ولكن محكمة التاريخ العادلة ستسألكم: هل ارتكب هذا الإنسان الوطنى الخيانة أم لا ؟ فأياً كانت الإدانة ، ومهما كان الحكم الذى ستصدرونه ، ستمزقه عدالة محكمة الشعب ومحكمة الأيام والتاريخ وستدين المدعى الفيدرالى (النائب العام) وستحكم ببراءتنا» .

أصدرت المحكمة حكماً مخففاً بالرغم من أحداث محاولة قلب نظام الحكم الدموية وحكمت على هتلر بالسجن خمس سنوات فقط . وأبرأت المحكمة ساحة لواء الحرب المحترم الجنرال «لودينـدورف» . وأطلقت سراح «رويم» **Rohm** و«فريك» **Fick** بالرغم من إدانتها لهما ، ورحل هتلر مع هيس إلى السجن فى لاندسبيرج وكان المكان عبارة عن مصحة أكثر من كونه سجناً .

أمضى هتلر ثمانية أشهر ونصف فقط من فترة العقوبة فى زنزانة مريحة كان يتأمل فيها أخطاءه ما الذى جرى ؟ ، ولماذا فشلت محاولة قلب نظام الحكم بالرغم من أن كل شئ كان يسير على ما يرام ؟

واكتشف أنه وقع فى خطأين كبيرين . **الأول** أنه تحرك بسرعة دون أن تكون له الأموال الكافية والقوة الكافية من خلفه . **والثانى** أنه وضع آماله وحدد نجاحه عن طريق سبل تآمر غير مشروعة . فقد تبين له أن الضربة العسكرية التى قام بها لم تكن الأسلوب الصحيح لأنها لم تستطع إثارة مزيد من دعم الدوائر الشعبية الألمانية المحترمة ، وخلص مع نفسه إلى أنه لكى يفوز بألمانيا لابد وأن ينتهج الطرق القانونية الشرعية ، لقد بان له الحل الآن .. أن يكون قانونياً وشرعياً تماماً ، فالقوة والعنف ليست مشروعة

قانونياً فعليه أن يكسب أصوات الشعب .. عليه أن يجعلهم يختارونه حاكماً بمحض إرادتهم.

هذا هو الدرس الذى تعلمه هتلر من واقعة محاولة الانقلاب الفاشلة بصالة ميونيخ . فالأمر واضح والحل جلى ظاهر ، لقد تذكر أنه جاء إلى السلطة بأسلوب قانونى وبالطرق المشروعة .. فقد صعد نجمه وكون حزبه وفقاً لدستور «فايمر» **Weimar** دون عنف أو عصيان مسلح ، وتذكر وقتها أن الجماهير كانت تهتف له قائلة «أدولف .. الزعيم الحق» .

لتمضية الوقت فى سجن «لاند سبيرج» قرر هتلر أن يؤلف كتاباً يكون بمثابة نبراس لأتباعه ومؤيديه ، فبدأ يملى فصول كتابه على المساجين وعلى زميله رودلف هيس ، ضمنه مشوار حياته وآراءه فى السياسة والمجتمع ، أتم هتلر كتابه فى ثمانمائة صفحة وأراد أن يضع له العنوان التالى «أربع سنوات من الكفاح ضد الزور والنفاق والجبن» . كان هذا العنوان يحمل فكرة هتلر ورأيه فى أعدائه . كان العنوان طويلاً لذلك تمكن الناشر الحاذق من اختصاره إلى كلمة واحدة «**كفاحى**» **Meinkampf** (ماين كامف) .

ظهر الكتاب فى صورة سيئة بالنسبة لمقاييس النشر . فقد كانت الطبعة الأولى مليئة بالعبارات الركيكة والأخطاء الإملائية والمطبعية، لكنها صححت ونقحت فى الطبعات التالية ، لكن الكتاب بقى مع ذلك مطولا مليئا بالحشو والمغالطات التاريخية، ويمكننا أن نرجع المواضع المحترمة أو القيّمة فى الكتاب إلى صياغة السيد / رودلف هيس الوحيد الذى كان حاصلاً على تعليم عال بين رفاقه النمساويين ، كان موضوع كتاب

«كفاحى» يعنى باختصار أن كل الناس لابد وأن تلتزم الصمت وتنصت لهتلر ، فهو وحده الذى على صواب .. وكلمته هى الأكثر حكمة . كان كتاب «كفاحى» كتاباً مملاً وغير مفهوم ، هاكم جملة أصلية جاءت على متنه :

«لقد كانت التغيرات المحركة فى هذا العالم غير مستندة لأساس علمى فيما يتعلق بأثرها على الجماهير ، فالناس تحركها أحاسيسها ومشاعرها ، وتلك هى التى تحدث تلك التغيرات المحركة فى هذا العالم» .

كان هتلر يريد أن يقول بتلك الكلمات إن الناس تقاد كالأنعام ليس بالتعقل ، وإنما بالتهور .

بالرغم من النقد العنيف الذى وجه إلى كتاب «كفاحى» يعتبر الكتاب فى واقع الأمر ، دستور النازية وأهم الكتب فى تاريخ العالم الحديث ، ففى هذا الكتاب كانت تصورات هتلر عن سياسة ومستقبل ألمانيا وكان الكتاب تخطيطاً مبدئياً للصورة التى أصر هتلر أن تكون عليها أوربا ثم العالم أجمع .

لم يحقق كتاب كفاحى(ماين كامف) مبيعات تذكر عند صدوره لكنه بعد ذلك وزع أعداداً هائلة وأصبح على رأس المبيعات وأكثر الكتب رواجاً. وطبعت منه طبعات عديدة موسعة وصلت إلى ٥,٢٠٠,٠٠٠ (خمسة ملايين ومائتى ألف نسخة) فى الطبعة الثانية فقط وفى عام ١٩٣٩ ترجم إلى ١١ لغة . وعندما أصبح هتلر مستشاراً أوصى بأن يقرأ كل زوجين فى ألمانيا كتابه بوصفه «كتاباً للعقائد والمعاملات » وبوصفه «العهد الجديد» للعمل السياسى ، وتم بعد ذلك توزيع نسخ مجانية

كإهداء لكل طفل يولد وكل شاب وفتاة يتزوجان وكل شيخ يحتفل بعيد ميلاده أو تقاعد على المعاش ، قليلون من الناس قرأوا كتاب كفاحى ، لكن الملايين اشترته ، ووضع الكتاب فى جميع أرجاء السجن الذى كان هتلر محبوساً به وتم التفاخر به أيما فخر . ومن مبيعات الكتاب الضخمة أثرى هتلر ثراء فاحشاً فقد بلغ إجمالى الأرباح الصافية التى دخلت جيب هتلر من مبيعات الكتاب ٣,٠٠٠,٠٠٠ دولارأمريكى (ثلاثة ملايين دولارأمريكى) وبلغت عوائد حقوق نشره فى الخارج أكثر من١٥٠,٠٠٠ (مائة وخمسين ألف دولار أمريكى) فى ذلك الوقت ، فلم يحدث فى تاريخ الطباعة والنشر والتوزيع أن بيع كتاب بمثل هذه الأعداد الضخمة.

غموض حادث مقتل چيلى راوبال

The Strang Death Of Geli Raubal

عندما كان الحزب النازى يناضل من أجل الوصول إلى السلطة عام ١٩٢٥، كان هتلر يقيم فى منزل ببلدة «**أوبيرسلازبيرج**» **Obersalzberg** الواقعة خلف قرية **بير تشسجادن** **Berchtesgaden** القريبة من الحدود النمساوية.

فى ذلك الوقت دعا هتلر أخته غير الشقيقة (من أم أخرى) الأرملة (**فراو**) راوبال لتقيم معه وتدير شئون المنزل . كانت أخته الأرملة تلك تدعى أنجيلا راوبال **Angele Raubal** وكانت ابنتها تدعى أنجيلا أيضاً . جاءت مدام أنجيلا راوبال إلى منزل هتلر ومعها ابنتها الفاتنة المرحة «**چيلى**» (الاسم المختصر الذى عرفت به للتدليل) . كانت «چيلى» صبية رائعة الجمال شديدة الجاذبية وكانت ذات جمال آرى أشقر من ذلك النوع الذى يهيم به هتلر شغفاً .

فى البداية كان هتلر ينظر لابنة أخته على أنها أكبر من كونها فتاة صغيرة . اتخذها صديقة وخرج معها فى رحلات يريها جمال الريف الباڤارى ويغدق عليها الهدايا . وكانت هى بدورها تؤدى له بالإضافة إلى الاستجابة العمياء بعض الخدمات مثل الكتابة على الآلة الكاتبة لنسخ بعض الأوراق له وكانت تناديه بـ «خالو آلف **uncle Alf** اختصاراً لأدولف على سبيل المودة .

«تزايد دخل هتلر بعد عدة سنوات فانتقل إلى شقة كبيرة باهظة الثمن بشارع الأمير رجنتين **Prinz Regenten Strasse** فى إحدى ضواحى

ميونيخ. وإلى هناك أحضر أنجيلا الكبيرة وأنجيلا الصغيرة ليقيما معه . كانت چيلى تهوى الغناء وتريد أن تصبح مغنية وتوقعت أن يسايرها خالها ألف (أدولف) ويساعدها على تحقيق رغبتها .

وفى عام ١٩٢٩ بدأت الناس تشك فى أن هتلر مجرد وصى على ابنة أخته الجميلة «چيلى» بيد أن الحب عند هتلر دائماً ما يكون من طرف واحد ، بمعنى أن «چيلى» لابد أن تكون صامتة ومطيعة تماماً لأوامره . نهاها هتلر عن رغبتها مؤكداً لها أن هذا خلاعة وأمرها ألا تتحادث مع الشبان أو الرجال وكثيراً ما حدثت مشادات بين هتلر وبينها بسبب هذا الأمر وكان هتلر ينهال بالشتائم والإهانات على من كانت تتصل بهم «چيلى» من الشباب والرجال . وفى كل مرة كانت جيلى تخضع لأوامر خالها الصارمة وتسكت لأنها إذا تذمرت أو اعترضت فلن تواجه سوى الضرب والحبس داخل الشقة لفترات طويلة كما حدث لها منه من قبل .

وبمرور الوقت بدأت جيلى تضجر من هذا السلوك المستبد وفاض بها الكيل حيث انمحت شخصيتها تماماً وكبلت حريتها دون رحمة ، لذلك ارتأت إنه لا مستقبل لها فى ميونيخ وفكرت فى هجر بيت خالها والرحيل إلى ڤيينا . وعندما علم هتلر بعزمها على السفر رغم إرادته ثارت ثائرته وأخذ يصيح فى أمها : «لابد أن تسمع جيلى الكلام .. كيف لها أن تجرؤ على الخروج والسفر إلى ڤيينا دون علمى» .

وفى أحد الأيام ، عندما كان هتلر يهم بقيادة سيارته ، صاحت «جيلى» من نافذة الشقة تناديه :«هل مازلت مصمماً على عدم السماح لى بالذهاب إلى ڤيينا ؟» رد عليها بصوت عال وعصبى «نعم .. لن تذهبى» وكانت هذه هى النهاية . ذهبت «جيلى» رغم إرادته إلى البيت

الذى كانت تقيم فيه أمها فى «بيرتشسجادن Berchtesgaden وهناك أقر الشهود أنهم رأوها آخر مرة تسير حول المنزل وفى يدها قفص به عصفور كنارى ميت .

وفى صباح اليوم التالى ١٨ سبتمبر ١٩٣١ وجُدت «جيلى» مقتولة برصاصة فى صدرها اخترقت قلبها تماماً داخل شقة والدتها . وكانت تبلغ من العمر وقتها ٢٣ عاماً .

أظهر هتلر حزناً شديداً على «جيلى» وبكاها بحرارة أياماً طويلة وركع يذرف الدمع عند قبرها والألم يعتصره حتى ظن أصدقاؤه أنه سينتحر حزناً عليها ، لا أحد يعلم لماذا قُتلت «جيلى» ومن قتلها وانتشرت الشائعات من كل لون ، شائعات تقول إن «جيلى» انتحرت وشائعات تقول إن هتلر تسبب فى اهتزاز أعصابها وساقها إلى الجنون ، وأخرى تقول إنه أمر بقتلها ، وانطلقت أيضاً شائعات تقول إن النازيين قتلوها خوفاً من أن تعمل على تحويل اهتمام هتلر عن مشواره السياسى وتحول دون صعوده للسلطة كمخلص ومنقذ لألمانيا . كلها شائعات لكن الحقيقة لا يعلمها إلا الله . لماذا قُتلت «جيلى» ومن قتلها » ؟ لا أحد يعلم .. وظل الأمر سراً غامضاً حتى اليوم .

هتلر يصعد إلى السلطة

Hitler Drives To Power

«لا أرى فى الرايخ الألمانى الحالى ديمقراطية أو جمهورية ، وإنما حظيرة خنازير ماركسية يهودية دولية» .

"IREGARD the Present German Reich as neither a democracy nor a republic, but a Marxist- Jewish international pigsty"

هكذا وصف أدولف هتلر جمهورية «ڤايمر» التى قامت فى ألمانيا عام ١٩١٩ بعد الحرب العالمية الأولى . وقال إن هذه الجمهورية ابنة مشوهة للهزيمة والعار فكان لايكن لها إلا مشاعر الازدراء والاحتقار .

ولكن ماذا كانت جمهورية «ڤايمر» ؟ كانت دولة ديمقراطية . فقد كان لها رئيس خدم البلاد لمدة سبع سنوات ومستشار ترأس مجلس الوزراء وكان البرلمان الألمانى يضم هيئتين ، الأولى كانت «**الرايخسرات**» **Reichsrat** وتشبه مجلس الشيوخ فى الولايات المتحدة (مجلس الشورى عندنا فى مصر – المترجم) والثانية «**الرايخشتاج**» **Reichstag** التى تشبه مجلس النواب الأمريكى (مجلس الشعب – المترجم) . وكان بألمانيا ٢٥ حزباً سياسياً عاملاً لكنها كانت أحزاباً ضعيفة لم يحظ أى منها بالأغلبية الكافية التى تؤهله لقيادة «**الرايخشتاج**» . فكان هنالك اضطراب سياسى وكانت الانتخابات تجرى بين الحين والآخر .. لكنها لم تفلح أيضاً فى إنهاء هذه الورطة القاتلة . لكن الجمهورية ، رغماً عن هذا الضعف ، كانت دولة ذات تقاليد غريبة ، فقد عاش الألمان لعديد من السنين تحت الحكم الفردى المطلق لآل «**هوهينزولرن**» ، العائلة الحاكمة قبل قيام

الجمهورية . ولكن الآن ، وبعد الحرب العالمية الأولى نجحت محاولة إدخال الديمقراطية فى ألمانيا وعاش الألمان على نحو ديمقراطى داخل جمهورية .

لم يكن هتلر وأعوانه وحدهم الذين كانوا يكرهون جمهورية ڤايمر ، حيث كان الشيوعيون يكرهونها أيضاً ، وكان النازيون يمقتون الشيوعيين الذين كانوا يمقتون النازيين بالدرجة نفسها؛ لذلك اشتبك نازيو «هتلر» عام ١٩٢٠ مع الشيوعيين فى الشوارع وكانت مصادمات عنيفة دموية . فقد كان الفريقان المتصارعان يستخدمان الخناجر والطبنجات والمدافع الرشاشة ؛ لذلك سقطت أعداد كبيرة من القتلى لكل من الجانبين . لقد كان عملاً مقززاً ذلك الذى كان يقوم به النازيون فى الشوارع ضد خصومهم السياسيين .

فاز النازيون فى انتخابات الرايخشتاج (مجلس الشعب) التى جرت عام ١٩٢٨ بـ ١٢ مقعداً ؛ بينما احتل الشيوعيون ٥٤ مقعداً ، ولكن بعد ذلك بسنتين أحرز هتلر نصراً ساحقاً فى انتخابات عام ١٩٣٠ حيث فاز بأغلبية المقاعد ؛ فقوى الحزب النازى فجأة محتلاً ١٠٧ مقعدا مقابل ٧٧ مقعداً فقط حصل عليها الشيوعيون ، لقد نجحت مخططات هتلر ، والآن هاهو قد نجح فى كسب قاعدة جماهيرية عريضة تصوت له وتناصره .

تعاظمت انتصارات هتلر السياسية ، ففى يوليو ١٩٣٢ فاز النازيون بـ ٢٣٠ مقعداً فى الرايخشتاج وأصبحوا الحزب الأول والأكبر فى ألمانيا ، وقرر هتلر مضاعفة جهوده لمزيد من الفوز النهائى على الأحزاب الأخرى ، لكنه واجه انتكاسة فى انتخابات نوفمبر ١٩٣٢ حيث تناقص عدد مقاعد

النازيين من ٢٣٠ إلى ١٩٦ مقعداً ومع ذلك استمر الحزب فى المقدمة ، حيث ازدادت قوة الشيوعيين إلى مائة مقعد فقط .

كان التصارع السياسى رهيباً بين الفاشيين البنيين (النازيين) والشيوعيين الحمر ، فكان النازيون اليمينيون والشيوعيون اليساريون يتسابقون بجنون للوصول إلى السلطة .

أثارت انتكاسة انتخابات نوفمبر ١٩٣٢ الوساوس فى نفس هتلر، لماذا انخفضت الشعبية ؟ هل سيحول الشعب الألمانى أنظاره عنا تدريجياً ؟! .

على العموم وجد هتلر عوناً لم يكن يتوقعه ، فبخلاف النازيين والشيوعيين ، كانت هنالك عناصر أخرى لاتجد جدوى فى جمهورية ڤايمر.. منها عائلات النبلاء وعائلات الأشراف التى كانت تريد عودة حكم آل «هو هينزولرن» .. وكذلك رجال القوات المسلحة الذين شعروا بفقد مكانتهم فى المجتمع .

وقدم له العون أيضاً أصحاب الأطيان وبارونات الصناعات الثقيلة ورجال المال والأعمال ، الذين كانوا جميعهم يخشون وصول الشيوعيين إلى السلطة وبالتالى ضياع ممتلكاتهم .

كل هذه العناصر الفعالة فى المجتمع الألمانى رأت فى هتلر وحزبه النازى أكبر حماية لهم ، فتدفقت الأموال والمساعدات من هذه المصالح المهددة على هتلر وحزبه النازى وكان الدعم هائلاً من رجال المال والصناعة حيث رأوا أنهم يمكنهم السيطرة على مصالحهم عن طريق هذا الرجل ، ومن الغريب أنهم لم ينزعجوا من برنامجه المُعادى للرأسمالية ، فقد شعروا أنها وسيلة اصطنعها هتلر بدهائه لجذب كافة قوى الشعب .

لم يكن هؤلاء القوم يعرفون شيئاً سوى القليل عن حياة هذا الداهية الذى قرروا مساعدته بكل قواهم ، لقد أعلن هتلر فى عام ١٩٣٢ أنه يريد أن يصبح رئيساً أو مستشاراً لألمانيا ، وقال إنه لو قدر له وتولى أحد هذين المنصبين ، سيقود البلاد بطريقته الخاصة إلى العلا ، فكيف لاينجذبون له بعد هذا القول ؟!

وفى العاشر من أبريل من ذلك العام تنافس هتلر على رئاسة الجمهورية ضد الجنرال «**بول فون هيندينبورج**» **Paul Von Hindenburg** لواء وبطل الحرب العالمية الأولى الفذ وفى انتخابات الإعادة فاز «هيندينبورج» ب١٩,٣٥٩,٦٣٥ صوتا مقابل ١٣,٤١٨,٠٥١ صوتاً لهتلر .

خرج هتلر من الانتخابات خاسراً بائساً ، وبالطبع أخذ يهاجم بطل الحرب البروسى الشهير ، فقال عنه : «إنه مسن يبلغ من العمر ٨٥ عاماً ، أما أنا ففى الخامسة والأربعين من عمرى .. لابأس .. يمكننى الانتظار» .

كان لكلام هتلر أثره الجارح على «هيندينبورج» وعلى الشعب الألمانى ، بيد أن رجال المال وكبار ضابط الجيش وأباطرة الصناعة الألمان مازالوا يرون فى هتلر المنقذ الوحيد لألمانيا المشوشة .

لقد حكمت ألمانيا منذ عام ١٩٣٠ مجموعة من المستشارين فى فترات حكم استثنائية . وفى ٢٩ مايو ١٩٣٢ خلع الجنرال الحربى «هيندينبورج» المستشار المعتدل «هاينرش برونينج» **Heinrich Bruning** من منصبه ، ودارت معركة سياسة مريرة من وراء الكواليس . حيث اتحدت سوياً ثلاث مجموعات للاستيلاء على السلطة – **اليونكرز** (*) **Junkers** من المناطق

* اليونكر : عضو من أعضاء الطبقة الارستقراطية الإقطاعية البروسية .

الشرقية وأباطرة رجال الصناعة فى الغرب ، وقادة «**الرايخسفر**» أى الجيش الوطنى . تمكنت المجموعات الثلاثة من السيطرة على مجلس الوزراء تحت قيادة السياسى المحنك «**فرانز فون بابين** Franz Von Papen المسمى بالشيطان السياسى والجنرال العسكرى «**كورت فون شلايخر**» Kurt Von Schleicher بيد أن فون بابين وفون شلايخر بدءا يتحاربان . كان شلايخر يريد ديكتاتورية عسكرية ، لكن الرئيس «هيندينبورج» كان يخشى ذلك بالرغم من أنه كان جنرالاً سابقاً حيث شعر أن ذلك قد يتسبب فى نشوب حرب أهلية. الآن سعى كبار القوم فى المجموعات الثلاثة الكبرى فى ألمانيا لمساعدة هتلر لأنه كان العدو اللدود للشيوعيين حيث أعلن هتلر عن ضرورة إبادتهم واستئصالهم ، لقد ذهب «**ڤيلى فون بابين**» Wily Von Papen لزيارة الرئيس المسن «فون هيندينبورج» وقال له إن هتلر كفء لتشكيل الحكومة وأهل للثقة فى ذلك الأمر حيث أنه يتمتع بشخصية قيادية حادة فضلاً عن وجود شعبية جماهيرية جامعة تؤيده . وأكد له «ڤون بابين» عن ثقته بأن «هتلر» سيعين فى مجلس الوزراء عدداً من المحافظين الذين يمكنهم تنظيم النازيين الثوريين تنظيماً عاقلاً ، بل ذهب ڤون بابين لأبعد من ذلك فى حديثه مع الرئيس حيث قال له : «إن لم يُعين هتلر مستشاراً لألمانيا ، فسيضيع البلد فى حرب أهلية» .

لم يكن الرئيس يعلم ما يفعله فهو لايرى خيراً يرُجى من هتلر الذى كان من قبل وكيل عريف فى الجيش ، وجاء الرئيس رجلان آخران مهمان هما السيد «**أوسكار فون هيندينبورج**» ابن الرئيس الذى كان قلقاً

على ضيعته التى يمتلكها فى شرق البلاد، ورجل المال والأعمال : البارون «**كورت فون شرويدر**» **Kurt Von Schroeder** حيث أقنعا الرئيس العجوز بأن «فون بابين» على حق، فهتلر لابد وأن يصبح مستشاراً لألمانيا .

أذعن الرجل العجوز لهم وفى ٣٠ يناير ١٩٣٣ عين هتلر مستشاراً لألمانيا، لقد صعد رجل كان من قبل متشرداً فى شوارع النمسا ينام فى المقاهى والحدائق إلى أعلى السلطة فى بلد قوى .. ورأى النازيين يمرون بالمشاعل فى ظلام الليل على نوافذ مقر المستشارية ليحيوه فى تمجيد خاص ، لقد أصبح هتلر مستشاراً لألمانيا وأوفى بعهده مع نفسه .. بألا يكون صعوده للسلطة عن طريق القوة أو العنف .. فكل شئ قانونى وشرعى ودستورى .

لم تكن جماهير الشعب الألمانى العريضة فى وعيها فى ذلك التوقيت ، ولم تع جمهورية ڤايمر أنها حكمت على نفسها بالإعدام ، ولم يشعر الألمان أنهم ينساقون بأقصى سرعة نحو جحيم وجاهلية القرن العشرين .

لماذا سار الألمان وراء هتلر؟

Why the Germans Accepted Hitler

كيف أصبح من الممكن لأدولف هتلر وزمرة السفاحين والقتلة التى معه أن تمسك بزمام الأمور فى دولة متحضرة عظيمة؟

لقد كان هتلر إفرازاً لأحوال وقته ، فبعد انكسار ألمانيا وهزيمتها فى الحرب العالمية الأولى ، أصبحت الأحوال الاجتماعية والسياسية داخلها مشوشة تعانى الفوضى والمرارة . فكان هتلر ورجال النازى الإجابة الطبيعية للشعب التعيس الشاعر بمرارة الهزيمة وعار ضياع الشرف والكرامة .. والراغب فى العودة إلى مكانته المرموقة الأولى .

لقد أصبحت الأحوال فى ألمانيا عام ١٩٢٩ أحوالاً يندى لها الجبين ، حيث الملايين دون عمل ، والملايين يتسولون طعامهم ، وأصبح الألمانى لا يستطيع العيش من العمل الذى يقوم به .. وأصبح الشعب قلقاً على غده، كيف سيؤمن معاشه ويضمن طعامه ويؤمن مأوى آدمياً لنفسه ولأسرته – لقد كان الشعب مضطرباً يعانى عناء المعيشة ووصل به الحال حداً جعله يسعى بكل الطرق لوضع حد حاسم لهذا التدهور المعيشى والسياسى والنفسى المهلك ، فى ذلك الوقت ظهر هتلر الذى يمكن تلخيص كافة خطبه فى جملة واحدة هى :

«تعالوا معى ، سيروا ورائى وسترون كيف أقودكم إلى العزة والمجد.. وليس فقط انتشالكم مما أنتم فيه .. سأقضى على المشاكل بكل قوة بدءاً من مشكلة البطالة.. الخ» .

لاتوجد إجابة محددة عن السؤال لماذا سار الألمان وراء هتلر؟ ، وإيجاد مثل هذه الإجابة شئ صعب للغاية ، لكن التفسير قد يكمن فى طبيعة البيئة الألمانية ؛ فعبر القرنين الماضيين ، كون الشعب الألمانى لنفسه مثل أى شعب من الشعوب شخصية خاصة به تشكلت ملامحها فى الأسرة وفى الفصل الدراسى ، فأصبحت الشخصية الألمانية القومية تتميز بعدة خصائص منها الالتزام والشمولية وحب النظام والعمل واحترام الدولة والقائد المخلّص .. الخ.

لقد تعلم الألمان عبر أجيال طويلة أهمية الانصياع لأوامر القائد واحترام كلمته .. وقد يكون ذلك شيئاً رائعاً فى حال وجود زعيم عاقل .. أما فى حال هتلر فكانت الكارثة معروفة .

لقد كان الألمان فى الواقع متعثرين بين فلسفات الغرب والشرق السياسية ، ففى الغرب تؤكد الشعوب دوماً على أفكار نهضة التعقل فى القرن الثامن عشر والتى نادت بالحرية والمساواة والإخاء والديمقراطية والدستورية وسيادة القانون والتمثيل النزيه الأمين للشعب والحفاظ على حقوق المواطنين والسهر على رخاء وحماية البلاد .. الخ ، أما فى الشرق فقد أُرغمت الشعوب على قبول التسلط والاستبداد والديكتاتوريات والانصياع الأعمى لما تأمر به

In the East , people were conditioned to accept authoritarianism, dictatorship, do-what - you`re - told.

فى كلمات المؤرخ البريطانى أ . ج . ب . **تايلور A.J. P. Taylor** التالية نجد تفسيراً لنجاحات هتلر الأولى وأعوانه النازيين فى ألمانيا :

«تاريخ الألمان تاريخ عنيف متطرف ، لا اعتدال أو وسطية فيه ، فعبر آلاف السنين مارس الألمان كل شئ عدا الأمور الطبيعية ، لقد هيمنوا على أوربا ، ثم أصبحوا ضحايا لاحول لهم ولاقوة، واقعين تحت هيمنة الآخرين ، لقد حظوا وتمتعوا بحريات عظيمة لانظير لها فى أوربا ، ثم سقطوا ضحايا القهر والاستبداد أيضاً على نحو لا نظير له فى أوربا ، لقد أخرجوا لنا أعظم الفلاسفة وعباقرة الموسيقى ، ثم بعد ذلك أخرجوا لنا أكثر الساسة انعداماً للضمير والرحمة والأخلاق ، والألمانى يقصد به فى آن معين إنساناً شديد العاطفة رقيق الوجدان ، شديد الثقة والائتمان ، شديد التقوى ، إنساناً يسعد تماماً بالحياة – وفى آن آخر إنساناً شديد الوحشية ، منعدم الأخلاق تماماً ، شديد الانحطاط والتعثر مع الحياة ، إن كلا هذين الوصفين صحيحان ، فهذان النمطان للألمانى لم يوجدا وحسب فى عصره أو فترة زمنية معينة ولكن فى نفس الشخص أيضاً » ..

The following paragraphs, written by a British historian, A. J. P. Taylor help to explain the reasons for the initial successes of Hitler and his Nazis .

"The history of the Germans is a history of extremes . It contains everyting except moderation , and in the course of a thousand years, the Germans have experienced everything except normality . They have dominated Europe , and they have been the helpless victims of the domination of others, they have enjoyed liberties unparalleled in Europe , and they have fallen victims to despotisms equally without parallel, they have

produced the most transcendental philosophers , the most spiritual musicians, and the most ruthless and unscrupulous politicians . A German has meant at one moment a being so sentimental , so trusting so pious, as to be too glad for this world, and at another a being so brutal, so unprincpled , so degraded, as to be not fit to live . Both descriptions are true, both types of Ger - mans have existed not only at the same epoch , but in the same person ..

«لم يضع أبداً إنسان طبيعى – ليس بالضرورة أن يكون صالحاً أو شريراً، عاقلاً أو مجنوناً أو معتدلاً – بصماته على التاريخ الألمانى ، فالألمان الذين يعيشون فى الوسط لم يأخذوا أبداً بأسلوب وسط فى الحياة سواء الفكرية أو السياسية ، والمرء يبحث دون جدوى فى تاريخهم عن وسط مضبوط أو منطق عادى – أى عن تلك الصفتين اللتين ميزتا فرنسا وإنجلترا – فلا يجد شيئاً طبيعياً فى التاريخ الألمانى سوى التقلبات العنيفة [١]».

"Only the normal person , not particularly good, not particularly bad , healthy, sane, moderate - he has never set his stamp on German history . Georgaphically the people of the center , the Germans have never found a middle way of life, either in their thoughts or least of all in their politics . One looks in Vain in their history for a Juste milieu , for common sense - the two qualities which have distinguished France and England

(١) أ . ج . ب . تايلور : مضمار التاريخ الألمانى . نيويورك ١٩٤٦ ص١ .

. Nothing is normal in German history except violent oscillations ." [1]

هنالك رأيان عن موضوع شعور الألمان بالذنب بسبب هتلر ونازييه ، يقول الرأى الأول إن الألمان أرادوا هذا الجبروت النازى بمحض اختيارهم فكل شئ تم طبيعياً وقانونياً ودستورياً ، لكنهم بعدما رأوا فظاعة النازى وهول قوته المتعاظمة لم يستطيعوا إيقاف ما بدأوه ، وهذا ما تؤكده محاولة الألمان طى صفحة كارثة الحرب العالمية الثانية التى شنتها ألمانيا على البشر فى العالم وبدأ الألمان فى انتهاج الحياة الطبيعية المعتدلة حتى صاروا الآن من أكثر شعوب العالم رخاء واستقراراً – والرأى الآخر يقول إنه من غير المنصف أن نلقى باللوم على الشعب الألمانى بسبب تجاوزات النظام النازى – فملايين من الألمان المحترمين كانوا قد خدعوا من ذلك الداهية هتلر وأعوانه السفاحين ولم يكن ليستطيعوا فعل أى شيئ إزاء ذلك بعد أن رفعوه عملاقاً .. وعلى العموم ليس من الإنصاف أن نأخذ أحداً بذنب غيره .. وليس من العدل أن نلوم الجيل الألمانى الحالى على أخطاء الآباء ، لكن العناصر التى لا يختلف عليها المؤرخون على جميع مناحيهم واتجاهاتهم ، هى تلك العناصر الأربعة المؤلفة لجوهر الحقيقة :

١ – كان الألمان يعانون ضعفاً سياسياً قبل مجئ هتلر للسلطة .

٢ – استغل هتلر حالة الشعب المضطرب المحبط وكان هدفه الواضح تدمير الحضارة الأوربية واستبدالها بإمبراطورية وحشية .

٣ – ارتضى الألمان بهتلر زعيماً كانوا يترقبون مجيئه .

---

(1) A.J.P. Taylor, The course of German History (New York 1946) .

٤- تسبب هذا الوحش السياسى الخرافى فى دمار وخراب كل من ألمانيا والعالم .

1- The germans were politically weak even before Hitler.

2-Hitler exploited the beliefs and fears of a frustarted people . His clear purpose was to destroy european civilization and replace it with a barnarian empire.

3- The germans accepted him as messiah for whom they were awaiting.

4- This political monster brought bisaster and ruin both germany and the world .

obeikandl.com

احتراق الرايخشتاج (مجلس الشعب)

The Burning Of The Reichstag

فى تمام الساعة التاسعة من مساء يوم ١٧ فبراير ١٩٣٣ انطلقت الأنباء عبر برلين تقول «الرايخشتاج يشتعل» ، ولم تكن كل الأخبار شائعة حيث كان مبنى الرايخشتاج فعلاً يحترق وتتصاعد من قبته ألسنة النيران وسحب الدخان .. فالمكان الذى سنت فيه قوانين ألمانيا يحترق الآن وتأكله النيران .

بعد دقائق معدودة انطلقت صفارات الإنذار وتكهرب الجو معلناً وصول «هتلر» إلى مسرح الحادث . فقد وصله خبر احتراق الرايخشتاج أثناء تناوله الغداء فى منزل الدكتور «**جوزيف جوبيلز**» **Dr. Joseph Goebbels** أظهر الفوهرر النازى غضباً شديداً ، ثم صاح فى انفعال عارم «لقد فعلها الشيوعيون .. لكن تلك إشارة من السماء ، فقبضة النازى لابد أن تسحق هؤلاء الخونة إلى الأبد» .

قام البوليس باعتقال شاب ضعيف عقليا يبلغ من العمر ٢٤ عاماً كمشتبه فيه . كان هذا الشاب متشرداً هولندياً يدعى «**مارينوس فان دير لوبه**» **Marinus Van der Lubbe** ، ووفقا لمصادر البوليس ، أشعل «مارينوس» هذه النار فى ٢٣ موضعاً فى «الرايخشتاج» مستخدماً القداحات وقطع القماش ، وقالت المصادر إنه سلك طريقاً متعرجًا متفادياً النيران المندلعة وخرج دون أن تلحق به النار أى ضرر ، وإن فان دير لوبه لم يقاوم الشرطة ولم يحاول الهرب.

وفى صباح اليوم التالى اعتقل البوليس «إرنست تورجلر» Ernst Torgler زعيم الحزب الشيوعى فى «الرايخشتاج» و«جورجى ديمتروف» Georgi Dimitrov الشيوعى البلغارى البارز ، وشيوعيين بلغاريين آخرين هما «فاسيلى تانيف Vassili Tanev » و«سيمون بوبوف Simon Popoff . وقبل أن يبرد رماد حريق الرايخشتاج خرجت الصحيفة النازية بناء على أوامر من هتلر بإعلان شجبها القوى لحادث الرايخشتاج وقالت إن الشيوعيين الأوغاد مرتكبى الحادث قد أُلقى القبض عليهم فى الوقت المناسب متلبسين بجرمهم ، وأعلن هتلر عن عزمه على سحق الشيوعيين وقال إنه سيشنق الجناة أمام الرايخشتاج ليرى الناس أن هذه الديدان القذرة قد انمحت تماماً

ثار الرأى العام العالمى من تصريحات هتلر وطالب بأن تُجرى للمتهمين محاكمة عادلة وتحت ضغط الرأى العام من كل أنحاء المعمورة ، شعر النازيون أنه من الأفضل أن يُساق المتهمون ليقاضوا أمام القضاء .

كانت المحاكمة مدهشة ، جلس الشاب الهولندى الضال «ڤان دير لوبه» فى قفص الاتهام وبدا منهاراً تماماً منكس الرأس لايعى ما يدور من حوله لدرجة أنه لم يشعر أن أنفه يسيل مما أضطر محاميه لاستخدام منديله الخاص لمسح وجهه . أما البلغارى «ديمتروف» فقد دافع عن نفسه بشدة وهاج فى وجه هيئة الادعاء بالمحكمة وأوضح زيف التهم الموجهة إليه – وكان من الواضح تماماً براءته وقد أثبت ذلك مستغلاً مركزه . وحرص هتلر على أن يكون بعيداً عن قاعة المحكمة ، فقد رأى أنه أعظم وأكبر من ذلك الأمر الحقير . كانت المداولة داخل قاعة المحكمة مثيرة بين «دميتروف» و«جورينج» فقد قالا لبعضهما وجهاً لوجه .

– **دميتروف** : «أنت تخشى مواجهتى أيها الوزير» .

– **جورينج** «فى انفعال» : أخشى ماذا ؟ مواجهتك أنت .. أنت صعلوك لا تستحق حتى حبل المشنقة .

وحدث شئ لم يكن متوقعاً ، فقد أعلنت المحكمة براءة المتهمين الأربعة من التهم المنسوبة إليهم ، فلم تكن هنالك أدلة اتهام دامغة ضدهم ، ولم ير هتلر مفراً من إعطاء الأمر للمحكمة بإطلاق سراحهم ، ولم يدان إلا الشاب المتخلف «ڤان دير لوبه» الذى اعترف فى أكثر من مرة أنه وحده الذى أشعل النار دون إيعاز من شخص آخر أو جهة معينة ، وحكمت المحكمة على «ڤان دير لوبه» بالإعدام .. ونفذ فيه الحكم بضرب رأسه ببلطة يدوية فى فناء سجن لايبزج.

He was condemned to death and beheaded by hand ax in the courtyard of leipzig prison .

كان منظر الإعدام منظراً فظيعاً لا يمكن لأحد أن ينساه لقد كان الشاب المتخلف «ڤان دير لوبه» يدرك على ما يبدو أن النازيين يعرفون بحقيقة حريق «الرايخشتاج» وأنهم سيفرجون عنه فى النهاية لأنه كان مرتعداً مفزوعاً عندما اقتيد إلى ساحة الإعدام وقاوم فى صراخ متواصل لدرجة أن الحراس كان يجرونه جراً بمشقة إلى الطاولة التى بترت عليها رأسه . فصراخ «ڤان دير لوبه» كان مدوياً حتى لحظة نزول البلطة التى حصدت رأسه . ويبدو أنه كان يود بصراخه هذا أن يقول لهم : «لقد أدنت نفسى لمجرد الشهرة وأنتم تعلمون الحقيقة» .

تكشفت بعد ذلك حكاية حريق «الرايخشتاج» لقد أضرم النازيون النار

بأنفسهم كذريعة يبررون بها شرعية سحقهم للشيوعيين!

فى ذلك الوقت لم يكد يمضى شهر واحد على بقاء هتلر فى السلطة ولذلك فهو يحتاج لحملة دعائية ضخمة تضمن له تماماً النجاح فى الانتخابات المزمع إجراؤها فى الأسبوع القادم وكانت فكرة حريق الرايخشتاج من اختراع الدكتور «جوبيلز» نفسه ليكون لوماً قاتلاً ضد خصوم هتلر ، حيث تسلسل عشرة رجال من رجال قوات العاصفة عبر نفق مؤد لمبنى الرايخشتاج ووضعوا بالداخل قطعاً من القماش والسجاد المغمورة بالبنزين ثم خرجوا من النفق وأشعلوا النار خلسة من الخارج ، وتصادف وجود الشاب الضائع «دير لوبه» فى نفس المكان ساعة وقوع الحريق ، فاغتبط عقله الضعيف بمنظر النار واقترب من المكان يلقى عليه بعض الخرق التى أشعلها هو فى الشارع ، وكان من حظ «جورينج» أن أبلغ البوليس الذى وجد هذا الشاب المريض مصادفة .

أسدى حريق «الرايخشتاج» خدمة لا تقدر بثمن لهتلر . فقد أتى الحريق تماماً بالهدف الذى دبر من أجله .. إنهاء الجمهورية الألمانية ، كما أن الحريق لم يأت على هذا المكان الشرعى فقط ، بل خول لهتلر المبرر الكافى لسحق خصومه .

لم يمر يوم واحد بعد الحريق إلا وكان هتلر قد أعلن حالة «الطوارئ العامة» ، فأوقف الحقوق المدنية ومنها حرية الصحافة والاجتماع ، وتم تحطيم دعاة السلام والليبراليين والديمقراطيين والاشتراكيين تحطيماً تاماً بواسطة الدعاية المضادة العنيفة والتى تكلفت مليون مارك ونسجتهم جميعاً بنسيج القذارة والغدر والخيانة ، فكان طبيعياً أن يفوز النازيون فى انتخابات

٥ مارس ١٩٣٣ بزيادة مقاعدهم فى الرايخشتاج من ١٩٦ إلى ٢٨٨ مقعداً وزيادة الأصوات التى ارتفعت لصالحهم من ١١,٧٣٧,٠٠٠ إلى ١٧,٢٧٧,٢٠٠ صوتاً عملت على كسب هتلر لـ٥٢٪ من إجمالى الأصوات .

لقد حظى هتلر الآن بالسلطة التى كان يريدها ، فعمل هتلر على دفن الرايخشتاج وخلق دستوراً جديداً وسن قوانين هتلرية خاصة ، وهكذا تبخرت جمهورية «ڤايمر» فى الهواء واختفت عن الأنظار ومن دخانها هذا ظهر جنى يسمى «الدولة النازية» أو «الرايخ الثالث» . وكلمة رايخ تعنى إمبراطورية . فالرايخ الأول **The First reich** كان الإمبراطورية الرومانية المقدسة (٨٠٠- ١٨٠٦م) **The Holy Roman Empire (800-1806)** والرايخ الثانى **The Second Reich** كان إمبراطورية أوتو فون بسمارك **Otto Von Bismarck Empire** (١٨٧١ - ١٩١٨)

(1871 - 1918) أما الرايخ الثالث **The Third Rich** فقال عنه هتلر إنه الإمبراطورية الألمانية الأعظم والتى ستدوم شامخة إلى الأبد .

تصفيات ٣٠ يوليو ١٩٣٤ الدموية

The Blood Purge of June 30, 1934

إرنست رويم Ernst Rohm رجل قصير قوى ممتلئ الجسم جرح فى الحرب العالمية الأولى ثلاث مرات وأصابت شظية أنفه وجانباً من وجهه . كان إرنست مقاتلاً محترفاً ، دموياً بطبعه ، لايشفى غليله إلا الدم والقتل .. وكان معروفاً بلقب الشرير الدموى .

إنه إرنست رويم الذى اهتم بحزب العمال الألمانى – الذى لم يكن سوى منتدى صغير للعمال وجعل منه حزباً ضخماً ، أعنى «حزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى» الذى تحول تحت إدارة هتلر إلى «الحزب النازى» ، وإرنست رويم هو الذى أنشأ أيضاً فرقة قوات العاصفة ذات القمصان البنية التى قاتلت الشيوعيين فى الشوارع . وبدون هذا الجيش المصغر الذى أنشأه رويم لم يكن هتلر ليستطيع أبداً الوصول إلى السلطة .

كان أدولف هتلر و«**إرنست رويم**» صديقين حميمين لمدة ١٥ عاماً ، وكان الفوهرر يقول لـ« رويم» إنه لن ينسى أبداً فضله فى إنجاح الحركة النازية وكان يقول له مادحاً «إننى أسجد لله شكراً لأنه أنعم على بصديق عظيم حقق لى ما كنت أطمع فيه وصار من أعز أصدقائى ورفيق السلاح الأول فى مشوار الكفاح» .

أراد «رويم» أن تندمج قوات العاصفة فى **الرايخسفر** «الجيش الوطنى» لكن ضباط الجيش النبلاء أعلنوا رفضهم لهذا المطلب .. ويبدو أنهم أرادوا الاعتزاز بعناصر الجيش الألمانى وحرصوا على عدم تلويثها بعناصر قوات العاصفة التى كانت تضم قتلة وسفاحين وقطاع طريق ولصوصاً وعناصر

كثيرة من العالم السفلى أى الفئات الوضيعة الخارجة على القانون ، رفض قادة الجيش الوطنى هذا المطلب رفضاً قاطعاً .

وتمادى «رويم» لأكثر من ذلك .. أعلن عن عدم رضائه بالحال وبالطريقة التى تسير عليها الأمور ، وقال إن الثورة النازية قد اندلعت كثورة أصلية أصيلة لكنها تباطأت وخف عزمها ، وشعر «رويم» وغيره من قادة النازى أمثال «**جريجور شتراسر** Gregor strasser بأنه لابد من ثورة ثانية تنطلق أسرع نحو الاشتراكية وأكد أن قوات العاصفة هى وحدها التى بوسعها إحداث هذه الثورة الثانية . ومن الجدير بالذكر أن الدكتور «**جوبلز**» Dr . Goebbels مهندس الدعاية النازية و«**هاينريش هيملر**» Heinrich Himmler قائد قوات الـ«س.س ذات التدريب الرفيع الجاهز ، كانا شبه موافقين على وجهة نظر «رويم» تلك .

كان هتلر يدرك أن القوة الحقيقية فى ألمانيا تكمن فى «الرايخسفر» أى فى الجيش الوطنى «القوات المسلحة الألمانية» وليس فى قوات العاصفة . وكان أيضاً على يقين بأن تمكنه من السلطة لن يكون إلا بمساعدة الجيش الألمانى أيضاً ، فلم يكن راغباً فى معارضة كبار القادة فى الجيش .

حاول هتلر تعقل الأمر مع «رويم» قائلاً له :« انس فكرة الثورة الثانية ، واتبع نصيحتى ، فهذا سيحدث اضطراباً ليس فى صالحنا» ، لكن «رويم» المقاتل العنيد أصر على ما يريده ، ولم يبال بأى قوة مناوئة أو أي شخصية مسئولة حتى لو كانت هتلر نفسه بشعبيته الجامحة ، فكان «رويم» يشعر بالثقة فى أن أحداً لن يجرؤ على اعتراض طريقه أو الوقوف أمام قوات العاصفة الانتحارية . وبالطبع سلك «رويم» بمعارضته تلك لهتلر طريقاً

خطراً لم يصح له أن يسلكه تجاه رجل اعتُبر فيما بعد من أعتى ديكتاتورى الأرض.

تملى هتلر الأمر وأدرك على الفور أن «رويم» يشكل خطراً على القضية النازية .،وحفظ هتلر ذلك الإدراك فى دماغه . «رويم» هذا رجل معاكس مشاكس لا يستمع لصوت العقل .

كان «**جوبيلز**» و«**هيملر**» على وعى تام بقوة ووزن الفوهرر لذلك قررا القفز فى عربة هتلر وانضما إلى صفه مؤيدين له – لقد تعلما الآن ألا يتفوها مرة أخرى بكلمة «ثورة ثانية» .. ولا أن يعارضا الفوهرر حول أى شئ . وكان الدافع الهام فى قرارهما هذا إخلاص **هيرمان جورينج Hermann Goering** –رئيس الجستابو **Gestapo** البوليس السرى النازى الذى لايرحم – للفوهرر ، فهو من أشد المقربين والمخلصين لهتلر .

قرر هتلر تأديب أولئك الذين عارضوه ووقفوا ضد إرادته . فاستقل الطائرة إلى «**ڤييسى Wiessee** فى جنوب **باڤاريا** حيث ينزل «رويم» فى منتجع «**هانسلباوير Hanslbauer** كان «رويم» يرقد فى فراشه نائماً حتى استيقظ على هتلر يحركه ليوقظه ويفاجئ بحرسه الخاص يلقون القبض عليه ، لم يصدق «رويم» عينيه إذ رأى حرس هتلر الخاص يعتقلونه ويكبلونه من يديه .. اقتيد «رويم» إلى السجن ووضع فى زنزانة منفصلة . بعدها جاءه هتلر وأعطاه مسدساً حيث طلب منه أن ينهى حياته بنفسه وبيديه. رفض «رويم» أخذ المسدس من هتلر وتسمر ينظر إليه متعجباً ثم قال : «لا يمكننى أن أقتل نفسى .. لابد أن يقوم هتلر شخصياً بهذا العمل القذر» . انقضت عشر دقائق بعد رد «رويم» هذا ثم انفتح فجأة

باب زنزانته وأطلق من خارجها وابل من الرصاص مزق جسد «رويم» إرباً.. وفى تلك الدقائق العشرة كان «جورينج» قد أصدر أوامره باعتقال خمسين رجلاً من كبار قادة قوات العاصفة فى برلين حيث تم اقتيادهم إلى مخزن الفحم فى مدرسة «**ليختر فيلده**»Lichterfelde العسكرية ، لم يدر بخلد أى من هؤلاء الرجال الخمسين أنهم سيعدمون فى الحال رمياً بالرصاص.. حيث كانوا يصيحون حتى آخر لحظة «عاش هتلر» .

فى مخزن الفحم بمدرسة «**ليختر فيلده**» العسكرية هذه جرت مذبحة بشرية فى الخفاء ، حيث اقتيد هؤلاء الضحايا مع غيرهم ووضعوا على حائط فى فناء المدرسة ثم قام أحد رجال الـ«إس . إس» (قوات هتلر الخاصة ذات الشراسة القتالية العالية) ونزع قمصان الضحايا وهم موقوفون على الحائط ، ثم رسم على ظهورهم العارية دائرة سوداء بقطعة من الفحم حول الناحية اليسرى لتشير إلى موضع القلب ولتكون هدف مرمى النار ، ثم حضرت فرقة إعدام مدربة ووقفت على مسافة بضع ياردات ، ساد المكان صمت لبرهة ثم صاح الضابط بصوت عسكرى عال معطياً أمر إطلاق النار بالنص التالى :

«بأمر الفوهرر .. اض ض ض ر ر ب!» .. ثم صاح الضباط «هايل هتلر **Heil Hitler**»

رُفعت الجثث بعد ذلك إلى داخل شاحنة مقفلة . ولم يعلم أحد إلا الله كم عدد الذين راحوا ضحية هذه المذبحة الخفية التى وقعت فى الثلاثين من يونيو عام ١٩٣٤ .

وفى ذلك التوقيت جرت تصفيات جسدية فى عدد من المدن الألمانية .

وأرسل «جورينج» ستة قتلة محترفين لقتل المستشار السابق «كورت فون شلايخر Kurt Von Schleichers داخل فيلته . حيث لقى حتفه هو وزوجته رمياً بالرصاص . وقتل «جريجور شتراسر» Gregor strasser داخل زنزانته أيضاً بنفس الطريقة التى تم بها قتل «رويم» .

لقد كان «فون شلايخر» و«جريجور شتراسر» من أعداء «جورينج» الألدَّة .

قُتل مئات الأشخاص فى هذه التصفيات الجسدية . وفى ميونيخ اختطف «جوستاف فون كار» Gnstav von kahr البالغ من العمر ٧٣ عاماً ، والذى أحبط من قبل محاولة هتلر السابقة لقلب نظام الحكم فى «بيرهول» صالة ميونيخ وبعد أيام قليلة وجدت جثته مشوهة تماماً وملقاة فى أحد المستنقعات . فلم ينس هتلر أن هذا الرجل قد زج به يوماً فى السجن . وحدثت فى هذه التصفيات الجسدية أخطاء مروعة . فقد قتل «ڤيلى شميدت» willy Schmidt الناقد الموسيقى المعروف خطأ لتشابه اسمه مع اسم أحد المستهدفين فى قائمة القتل .

حتى ذلك الوقت صاح هتلر يخطب فى الجماهير «لقد كنت القاضى الوطنى الذى حاكم أعداء الشعب الألمانى» ، لقد صعد هتلر فوق أكوام الجثث تلك إلى درجات أعلى فى السلطة ، وأصبح ليس فقط زعيماً أوحد لحزبه بل وزعيماً أعلى لألمانيا ، ولم يجرؤ أحد على تحديه أو مواجهته ، وأخيراً أخذ هتلر يردد بزهو داخلى بالغ : «لن تكون هنالك ثورة ثانية فى ألمانيا» .